الفصل الثالث

الشريعة اليهودية وأسفار التلمود
وتشويه أحكام الشريعة اليهودية

obeikandl.com

obeikandl.com

الفصل الثالث

الشريعة اليهودية وأسفار التلمود
وتشويه أحكام الشريعة اليهودية

سبق أن ذكرنا هنا أن العهد القديم يتكون من ٣٩ سفرا، وهو ينقسم إلى قسمين، القسم الأول هو التوراة التى أنزلت على موسى عليه السلام، وهى مكونة من خمسة أسفار هى:- تكوين- خروج – لا ويون عدد- تثنية، وتسمى الأسفار الخمس هذه أيضا أسفار الشريعة، أما باقى أسفار العهد القديم فلم تنزل على موسى، ولكنها كتبت عن أنبياء بنو إسرائيل بعد الذين ظهروا بعد موسى عليه السلام وكذلك ما كتبه بعض كبار الحاخامات، وتسمى هذه الأسفار التلمود، وتتميز بالسرد التاريخى للأحداث لذلك تسمى أيضا بالأسفار التاريخية، وبعض من هذه الأسفار يحتوى على ما يسمى كتب الحكمة وتشمل مزامير داوود وأمثال سليمان ونشيد الإنشاد وهى أسفار يغلب عليها الطابع الأدبى.

هذه هى أسفار الكتاب المقدس التسع والثلاثون، ويعتبر ما جاء بها أخبارا وتاريخا لشعب إسرائيل خلال ألفى سنة قبل الميلاد منذ أن هاجر إبراهيم عليه السلام من أور الكلدانيين (فى العراق) إلى أرض كنعان (فلسطين) وإستقر بها نهائيا بعد عودته من رحلته إلى مصر حيث أهداه فرعونها السيدة هاجر المصرية التى أنجبت له إسماعيل جد العرب، ولم تلبث زوجته سارة أن أنجبت له يعقوب الذى يسمى إسرائيل وهو حد بنى إسرائيل.

وباختصار شديد، فبعد غزو بنى إسرائيل لأرض فلسطين بقيادة يشوع بن نون أقاموا فيها بعد مدة مملكة بلغت ذروة إزدهارها فى عهد سليمان وداوود عليهما السلام، ثم إنقسمت دولة إسرائيل بعد موت سليمان إلى دولتين فى عام ٩٢٢ ق. م، دولة فى الشمال تضم العدد الأكبر من أسباط بنى إسرائيل (عشرة أسباط) وكانت عاصمتها مدينة شكيم وسميت هذه الدولة إسرائيل، ودويلة صغيرة أخرى فى الجنوب عاصمتها أورشليم سميت دولة يهوذا، ثم سقطت دولة إسرائيل الشمالية على يد الأشوريين فى عهد الملك سرجون الثانى سنة ٧٢١

ق.م وضربت وزالت نهائيا من الوجود، ولكن دويلة يهوذا ظلت موجودة فى الجنوب إلى أن حاصرها نبوخذنصر (بختنصر) ملك بابل واستولى عليها سنة ٥٨٦ . ق.م، وأخذ جميع سكانها أسرى ورحلهم الى بابل وعاشوا أسرى فى بابل وعبيدا على مدى مائة وخمسون عاما حتى إنتصر قورش ملك الفرس على بابل فى القرن الرابع قبل الميلاد وأعاد اليهود إلى فلسطين تحت رعايته وسيادته، وكان هذا الملك قد تزوج زوجة جميلة من اليهود هى التى أثرت عليه ودعته إلى إرجاعهم إلى فلسطين، وسمح لهم قورش بإعادة بناء الهيكل ولكنهم فى هذه المرة لم تكن لهم مملكة بل كانوا محكومين بالفرس ومن بعدهم الإغريق ثم الرومان، وإنتهى أمرهم فى عهد الإمبراطور الرومانى هادريان فى سنة ١٣٥ م. الذى هدم الهيكل وضرب مدينة أورشليم وحرقها وحرث أرضها، وتفرق أهلها فى مشارق الأرض ومغاربها.

وفى أثناء النفى إلى بابل، أحرقت التوراة ثم أعيد كتابتها بعد مائة عام على يد عدد من الحاخامات برئاسة أليعازر الذى يعتبره اليهود نبيا بل كادوا ليؤلهونه، وفى هذه المرة كان يعتمد فى كتابة التوراة إلى حد كبير على ما تناقلته أجيال الحاخامات الذين تأثروا كثيرا بالحياة فى بابل الوثنية، وما كان معروفا بها من أساطير وأقاويل وثنية لا تمت إلى التوراة بأى صلة، ولذلك تميزت التوراة المكتوبة فى هذا العهد بتسرب الكثير من هذه الأساطير والتعاليم الوثنية إليها، ومن ذلك تجسيد الرب سبحانه وتعالى وإضفاء صفات بشرية عليه كما كان الحال بالنسبة لألهة البابليين، كما دخلت فيها الكثير من العبارات التى تنضح بالحقد على جميع الشعوب، ولكن الأسفار الخمسة الأولى منها لم يدخلها الكثير من التحريف، لذلك سوف نركز على ما جاء فيها من أحكام وأمور تتصل بالعبودية لله تعالى والتوحيد، وقد إمتدح الله سبحانه وتعالى توراة موسى فى الكثير من آى الذكر الحكيم ووصفها بالهداية والنور لإنها تحتوى على نفس الناموس والنهج الذى أنزل على جميع الأنبياء عليهم السلام، و إليك بعض ما جاء فى آى من القرآن عن التوراة:-

﴿ إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِن كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَلا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلاً وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴾ «المائدة ٤٤» .

هذا ويعتبر الأنبياء جميعا فى حكم شريعة الإسلام مسلمون، لأن الإسلام معناه أن يستسلم الفرد لله تعالى ويلتزم بكل أوامره ونواهيه، كذلك يأمر الإسلام أتباعه بالإيمان بجميع الأنبياء والرسل السابقين على بعثة سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام، دون تفرقة بين أحد منهم، كذلك من أركان الإيمان الأساسية فى الإسلام أن يؤمن المسلمون بجميع الكتب السماوية السابقة، التى يعتبرها الإسلامى ناموسا ربانيا واحدا يكمل بعضها بعضا، ويقول الله تعالى فى ذلك: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنزَلَ مِن قَبْلُ وَمَن يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالاً بَعِيدًا ﴾ ،النساء ١٣٦،.

﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللَّهَ وَلا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ ،آل عمران ٦٤،.

﴿ وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ ،البقرة ٥٣،.

وترك الإسلام للناس حرية إعتناقه باختيارهم دون إكراه، فقط يطلب من الإنسان أن يحكم عقله فى معطيات القرآن الكريم ومبادىء الإسلام القويمة وله بعد ذلك أن يؤمن أو لا يؤمن. ﴿ لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لا انفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ ،البقرة ٢٥٦،.

أنظر معى كيف كرم الله فى القرآن جميع الرسل والكتب المنزلة وكيف وصف التوراة بالنور والهداية، وأنها هى الدستور التى يحكم به فى الدنيا حتى نزول القرآن الكريم بالشريعة الإسلامية السمحة الشاملة الصالحة لكل زمان ومكان، ويقول الله تعالى فى ذلك ﴿ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً

وَلَكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾ *«المائدة ٤٨»*.

وأهم ما جاء فى توراة موسى هى الوصايا العشر التى سبق لنا ذكرها فى مكان آخر، وهذه الوصايا مماثلة لما جاء فى القرآن الكريم من وصايا ذكرت فى أكثر من موضع وأجملت فى سورة الأنعام حيث يقول تعالى:-

قل تعالوا أقل ما حرم ربكم عليكم:-

١ - ﴿ أَلاَّ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا.

٢ - وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا.

٣ - ولا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُم مِّنْ إِمْلاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ.

٤ - وَلا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ ما ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ.

٥ - وَلا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ.

٦ - ولا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ.

٧ - وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا.

٨ - وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ.

٩ - وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ.

١٠ - وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ *«الأنعام ١٥١-١٥٣»*.

والفواحش التى ذكرت فى هذه الآيات هى الزنا وزنا المحارم واللواط، والوفاء بالعهد يعنى الصدق فى المعاملات بين الناس وتحريم السرقة والإختلاس وعدم الحنث فى الأيمان.

ويذكر مفسروا القرآن الكريم فى شرح الآية ﴿ وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ ﴾ *(البقرة ٥٣)*، أن الكتاب هو أحكام الشريعة الموسوية وأما الفرقان فهى الوصايا العشر.

صعوبة وقسوة أحكام الشريعة الموسوية

تتصف أحكام الشريعة الموسومة بالصعوبة والشدة وذلك لكى تناسب شعب بنى إسرائيل وميلهم دائما للعصيان والتمرد، ﴿ فَبِظُلْمٍ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيراً ﴾ ،النساء ١٦٠، . ومن سمات هذا التشدد ما يلى:-

١ – تعدد المحرمات وكثرتها بصور غير مسبوقة فى الشرائع السابقة على نزول التوراة ولا فى شريعتى المسيحية والإسلام، وقد فصلت التوراة هذه المحرمات فيما يلى:-

(وكلم الله الرب موسى وهارون قائلا:- كلما بنى إسرائيل قائلين لهم هذه هى الحيوانات التى تأكلونها:-

كل ما شق ظلفه إلى شقين ويجتر من البهائم فإياه تأكلون.

ولذلك فالجمل محرم أكله لأنه غير مشقوق الظلف ولو أنه مجتر.

والخنزير محرم لأنه لا يجتر ولو أنه مشقوق الظلف، كذلك تحرم السباع والكلاب والسنانير، ويحرم أكل الأرانب وغيرها من القوارض آكلات العشب حيث أنها لها أظافر وليس لها أظلاف مشقوقة، وشحوم الحيوانات محرمة إلا ما كان موجودا منها على الظهر أو مختلطا بالعظام أو بين الأمعاء، والدم محرم وما إقتطع من لحم البهيمة وهى حية.

ومن مظاهر التشدد ما ذكر فى «سفر لاويين ١١ : ٢٩» (ابن عرس والفأر والضب والجرذون والورل والحرباء. هذه هى النجسة من الدبيب الذى يدب على الأرض. وكل من مسها بعد موتها يكون نجسا إلى المساء ثم يطهر، وكل من وقع عليه واحدا منها بعد موتها يكون نجسا الى المساء ثم يطهر، وإذا وقع منها شىء ميت على كل متاع من خشب أو ثوب أو جلد يكون نجسا، وكل متاع يتنجس يلقى به فى الماء ويكون نجسا الى المساء ثم يطهر، وكل متاع من الخزف وقع فيه منها فكل ما فيه يتنجس وأما هو فتكسرونه لأن ما يأتى عليه ماء من كل طعام يكون نجسا).

والتنورة والموقد يهدمان. إنها نجسة وتكون لكم نجسة.

فتأمل معى هذا التشدد، وكيف يستمر الفرد الذى أصابه فأر أو برص نجا حتى المساء، أما التنور (الفرن) فيهدم والأوانى الخزفية تكسر، وتستطرد التوراة فى ذكر المحرمات (**وهذه الأنواع من الطيور تكرهونها ولا تؤكل:- النسر والأنوق والعقاب والحدأة والغراب والنعامة والباز والبوم والقواص والكركى والبجع واللقلق والببغاء والهدهد والخفاش، ودبيب الطير الماشى على أربع فهو مكروه لكم ماعدا ماله كراعان فوق رجليه يثب بهما على الأرض** (الإصبع فى الساق التى لا تلامس الأرض كما فى الدجاج والأوز والبط والسمان) **والعصافير تؤكل، والجراد على أجناسه يؤكل**).

وتستطرد التوراة قائلة: (**هذا ما تأكلونه من جميع ما فى المادة:- كل ماله زعانف وحرشف فى مياه البحار والأنهار فإياه تأكلون. لكن ما ليس له حرشف ولا زعانف من كل نفس حية فى البحار والأنهار فلا تأكلوه**) وعليه فإن الأسماك التى لا يغطى جسمها حراشيف (أى قشور) لا تؤكل مثل ثعبان الماء والقرموط والبياض والأخطبوط والجمبرى والمحار.

ومن النجاسات فى الشريعة اليهودية طمث النساء، ومن مس إمرأة أثناء الحيض فهو نجس، لذلك يعتزلها الرجال ولا يوجدون فى أى مكان توجد به، وكل من مسته إمرأة فى هذه الحال فهو نجس.

أما المرأة التى تلد ذكرا فتظل نجسة سبعة أيام ثم يختن الطفل فى اليوم الثامن وتكمل المرأة فترة النفاس بعد ذلك ٣٣ يوما، ولا يصرح لها أثناء ذلك أن تمس أى شىء مقدس، أما إذا ولدت بنتا فتظل نجسة أسبوعين ونفاسها بعد ذلك ٦٦ يوما.

وبعد إنتهاء النفاس يجب عليها أن تقدم إلى كاهن المعبد خروفا ابن سنة يضعه فى محرقة المعبد مع فرخ حمام أو يمام تقدمه إلى الكاهن يذبحه تكفيرا لحظاياها.

والذى يصاب بمرض البرص، يعتبر نجسا ينفيه الكاهن خارج مكان إقامة الجماعة ولا يرجع أبدا حتى الموت.

وأى شخص يموت فى حجرة أو خيمة سواء كانت الميتة طبيعية أو قتلا فهو نجس، ويعتبر المكان الذى مات فيه –حجرة كان أو خيمة– نجسا لمدة ٧ أيام، كذلك كل الأوانى والفرش الذى كان بها.

وكل الأشخاص الذين كانوا بها أو دخلوها تصيبهم النجاسة

وكل من لمس جثة إنسان ميت فهو نجس وينقل نجاسته إلى كل شىء يمسه.

والنجاسة المكتسبة عن طريق المس تستمر مع الفرد المتنجس طول النهار ولا تزول إلا بعد غروب الشمس.

أحكام المعاملات في الشريعة اليهودية:-

إمتازت هذه الأحكام بالشدة والغلظة ولذلك يصعب تطبيقها، فمثلا:–

١ – من ضرب أباه أو أمه يقتل.

٢ – من شتم أباه أو أمه يقتل.

٣ – من سرق إنسان وباعه أو وجد فى حوزته إنسان مخطوف يقتل.

٤ – والشاهد الذى يكتم شهادته يرتكب خطية.

٥ – وحلف اليمين الكاذبة أو الحنث فى اليمين خطية.

وفى حالة الخطية يقدم المذنب الى الرب «كاهن المعبد» أنثى من الخراف أو الماعز كذبيحة تكفير خطية، فيغفر له الكاهن خطيئته، وان كان المخطىء فقيرا فيكفيه أن يقدم الى الكاهن فرضى حمام أو يمام يذبح أحدهما ذبيحة خطية أما الآخر فيقدم الى مذبحة المعبد.

وإذا أخطأ أحد سهوا فى أقداس الرب يقدم إلى الكاهن كبشا سمينا تكفيرا عن خطأ السهو.

وتعليقا على هذه الأحكام يتضح مدى شدة أحكام الشريعة الموسوية مقارنة بسماحة الاسلام ويسره، وتقديم القرابين فى الشريعة اليهودية جزء أساسى من هذه الشريعة، فهى تقدم فى العديد من المناسبات مثل:–

١ – تكفير الخطايا والإعتراف بالذنب.

٢ – الشكر على السلامة والنجاح.

والقرابين تكون من الحيوانات المستأنسة من غنم أو بقر أو معز بشرط أن يتعدى عمرها سنة (حولية)، أما الفقراء فيمكنهم أن يقدموا فرخى حمام فقط كقربان.

والقرابين من الحبوب تقدم كفطير معجون بالزيت ويسمى خبز الوجوه ويوضع على مائدة الرب فى المعبد كل يوم سبت.

طقوس تقديم القرابين:-

عند تقديم ذبيحة القربان، يضع المخطىء يده على رأسها ثم يعترف بذنبه، ويقوم الكاهن بذبح الحيوان وسلخه وتقطيعه، ثم يحرق فى محرقة المعبد ما أمر به الرب أن يحرق ويتصرف الكاهن فى الباقى حسب أوامر الرب.

أنـــواع القرابـــين:-

يوجد نوعان من القرابين:

١ – قربان يقدم كله إلى الرب وهذا يحرق بأكمله ويسمى قربان محرقة.

٢ – قربان يخصص قسم منه للرب ويحرق، وقسم آخر للكهنة أولهم ولمقدم القربان، كما فى القرابين التى تقدم فى الأعياد أو ذبيحة الشكر وذبيحة السلامة.

٣ – ذبيحة الخطية وهذه لا يسمح لمقدمها أن يأكل منها لأنه مرتكب للإثم، فهو معترف بعدم إستحقاقه للشركة مع الرب فلا يأكل هو منها، وفى هذه الحال يجب على الكاهن أن يرش من دم الذبيحة على زوايا المذبح الأربعة (المحرقة) وعلى قوائم باب الدار الداخلية وعلى قرون المذبح الأربع ثم تحرق الجثة.

وإذا إرتكبت جماعة خطيئة، وقدمت قربانا فإن الكاهن يأخذ من دم الذبيحة ويرش منه على غطاء تابوت الشهادة (أى الذى يحتوى على التوراة ويوجد بالمعبد) سبع مرات، وهذه الذبيحة تكون ثورا.

من هذا يتضح مدى التعقيد الشديد فى مراسم تكفير الخطايا، والدور الذى يلعبه الكاهن أو الحاخام فى ذلك، وحرق الذبائح فى محرقة المعبد (أو المذبح كما يطلقون عليها) ورش الدم على قوائم الدار وقوائم المذبح، أليس فى هذه الممارسات الدموية ما يحبب الإسرائيليين فى سفك الدماء؟ وحرق الأجناس وتعودهم على هذه الطقوس، ألا تفسر ولعهم بالتنكيل بأعدائهم وتمزيق أجسادهم والتمثيل بها كما فعلوا ذلك فى الكثير من قرى ومدن فلسطين ولبنان، وما فعله السفاح شارون فى صُبرا وشاتيلا وقرية قبية وأم الفحم وغيرها، فتعود رؤية الدم وحرق جثث الذبائح يوحى لهم بفعل نفس الشىء مع البشر الذين يعتبرونهم قرابين بشرية وربما كانوا يعتقدون أن الرب سوف يبارك هذا العمل ويجزيهم عنه جنة وحريرا.

ومضات من نور النبوة في ثنايا توراة موسي:-

من يتصفح توراة موسى الموجودة الآن (الأسفار الخمسة الأولى من العهد القديم) ورغم ما أصابها من تحريف، إلا أن المرء يلمس فى أجزاء كثيرة ومضات من نور النبوة تذكرنا بما يقصه علينا القرآن الكريم عن التوراة، وما أنزل من الهداية والنور، فمثلا من يقرأ وصايا الوداع التى أوصى بها موسى قبل موته يجد فيها من أنوار الهداية الشىء الكثير، ولقد ألقى موسى على قومه خطبا ثلاث قبل موته يسمونها خطب الوداع أو وصايا الوداع، وإليك هنا مما جاء فى الخطبة الأولى منها وهى خطبة طويلة نقتطف منها ما يلى:-

بدأ موسى هذه الخطبة بمقدمة ذكر الشعب بتاريخ بنى إسرائيل وبعهود الذل التى عاشوها فى مصر، ثم رحمة الله بهم وبعثه لنبيه موسى إليهم، والمعجزات الألهية التى أجراها الله على يده أمام فرعون وقومه والتى كدرت حياتهم وأذلتهم، ثم بين بعد ذلك المعجزة الكبرى التى تمثلت فى شق البحر واجتياز بنى إسرائيل له ثم غرق فرعون وقومه عندما حاول اللحاق بهم وإنطباق شقى الماء عليهم، ثم يسرد ما عاناه من عناد الشعب وعصيانه ونكرانه لجميل موسى وجميل الرب عليهم فى أثناء وجودهم فى سيناء ثم حكم الرب عليهم بالذل وتأديبه لهم بالوباء والقحط وشظف العيش والشقاء، ثم ما حدث من رفض الشعب دخوله الأرض المقدسة وعقاب الرب لهم بالتيه أربعين عاما فى سيناء، ثم يتطرق إلى إقتحام الجيل التالى منهم بأمر الرب أراضى الشعوب المجاورة (فلسطين) وإنتصارهم

عليهم بإذن الرب وأخذهم للكثير من الغنائم والسبايا من تلك الشعوب التى هزمت فى ديارها، ثم يبشرهم بقرب دخولهم إلى الأرض المقدسة وإستيلائهم عليها، كما وعد الرب أبيهم ابرهيم بذلك.

وبعد هذه المقدمة التاريخية إنتقل موسى فى خطبته إلى الوصايا الهامة التى أوصى بها شعبه حتى لا يفقدوا نصر الله وتأييده لهم، ومن هذه الوصايا عبادة الله وحده وعدم الإشراك به أو عبادة الأصنام، وأمرهم بتحطيم كل الأصنام التى يجدونها فى البلاد التى سوف يفتحها الله عليهم، ونلخص ذلك فى النقاط التالية:-

١- الحث على عبادة الله تعالى وعدم الإشراك به حيث يقول موسى عليه السلام:

(فالآن ياإسرائيل، إسمع الفرائض والأحكام التى أنا أعلمكم لتعملوها لكى تحيوا وتدخلوا وتمتلكوا الأرض التى الرب إله آبائكم يعطيكم. إحفظوا وصايا الرب التى أوصيكم بها. أعينكم قد أبصرت ما فعله الرب بكل من ذهب وراء بعل تفور (إله الكنعانيين). أباده الرب من وسطكم، أما أنتم الملتصقون بالرب فجميعكم أحياء ،وهى الحادثة التى ذهب فيها بعض أبناء بنى إسرائيل إلى معبد بعل وتعبدوا له أثناء مرورهم فى أرض كنعان، . وقد علمتكم أحكام ما أمرنى الرب إلهى لكى تعملوا بها فى الأرض التى أنتم داخلون إليها فاحفظوا واعملوا بها، وإحفظ نفسك جيدا لكى لا تزول من قلبك، وعلمها لأولادك وأولاد أولادك.

لا تفسدوا وتعملوا لأنفسكم تمثالا منحوتا شبه ذكر أو أنثى أو شبه بهيمة مما على الأرض أو شبه طائر مما يطير فى السماء وتسجد لها وتعبدها. أشهد عليكم الأرض والسماء وإن فعلتم ذلك أن تبيدون سريعا من الأرض ويبدوكم الرب فى الشعوب فتبقون عددا قليلا بين الأمم التى يسوقكم الرب اليها).

ملاحظة:- لاحظ فى هذا الجزء من الخطبة سمات التوحيد الخالص لله والتقرب إليه وحده بالعبادة، فإن نقضوا هذا العهد يهزمهم الرب ويفرقهم بين الأمم، وقد حدث هذا بالفعل. ويذكر القرآن الكريم هذه الوصايا فى سورة «البقرة - ٨٣» ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي

إِسْرَائِيلَ لا تَعْبُدُونَ إِلاَّ اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلاَّ قَلِيلاً مِنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ ﴾ وحدث أنه عندما نقضوا هذا العهد فيما بعد أن تعرضوا للهزيمة وأخرجهم الله من الأرض المقدسة وفرقهم بين الأمم كما تنبأ بذلك موسى عليه السلام، وذاقوا من ضروب الذل والمهانة ما ذاقوا، وفى هذا يقول الله فى القرآن الكريم فى «سورة الأعراف- ١٦٧» ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ .

٢ - تحطيم الأصنام فى الأرض التى يدخلونها ويقهرون أهلها:-

فيقول موسى عليه السلام:-

(هذه هى الفرائض والأحكام لتعملوها فى الأرض التى أعطاك الرب. تخربون جميع الأماكن التى عبدت فيها الأمم التى ترثونها آلهتها على الجبال الشامخة وعلى التلال وتحت كل شجرة خضراء وتهدمون مذابحهم وتكسرون أنصابهم وتحرقون سواريهم وتقطعون تماثيل آلهتهم وتمحون إسمهم من ذلك المكان) .

٣ - عدم طاعة أى دعوة لعبادة الأصنام:-

(واذا أغواك إبن أمك أو إبنتك أو إمرأتك أو صاحبك قائلا نذهب ونعبد آلهة أخرى من آلهة الشعوب الذين حولك فلا ترض منه ولا تسمع له ولا تشفق عليه ولا يرق له قلبك، بل قتلا تقتله يدك تكون عليه لقتله ثم أيدى جميع الشعب، أخيرا ترجمه بالحجارة حتى يموت لأنه إلتمس أن يطرحك عند الرب إلهك الذى أخرجك من مصر. وإذا سمعت عن إحدى مدنك التى يعطيك الرب لتسكن فيها قولا قد خرج من أناس من وسطك قائلين نذهب ونعبد آلهة أخرى فضربا تضرب سكان تلك المدينة بحد السيف وتحرقها بكل ما فيها مع بهائمها. وتحرق بالنار المدينة وكل أمتعتها) .

٤ – فى الفقرة الرابعة من الوصية يؤكد موسى ثانيا على التوحيد فيقول:-

إسمع ياإسرائيل الرب إلهنا واحد. فتحب الرب بكل قلبك وقصها على أولادك حين تجلس فى بيتك وحين تمشى فى الطريق وحين تنام وحين تقوم. وأربطها علامة على يدك ولتكن عصائب بين عينيك واكتبها على قوائم أبواب بيتك وعلى أبوابك.

٥- فى الفقرة الخامسة من الخطبة يحض موسى ثانيا على عدم عبادة الأصنام

ويهون من أمر الشعوب الوثنية مهما كان عددهم وقوتهم فإن الرب سوف يهزمهم، ويأمرهم بألا يقتنوا فضة ولا ذهبا منقوشا عليها أصنام من آلهة القوم، كما أمر موسى بعدم مصاهرة بنات أو شباب تلك الشعوب الكافرة.

٦ – فى الفقرة السادسة يذكر موسى لقومه أن خير الدنيا يأتى مع طاعة الله والإيمان به فيقول:

(إعلم أن الرب إلهك هو الرب الإله الأمين الحافظ العهد والإحسان لمن يحبونه ويحفظون وصاياه والذين يعملون بأحكامه يحبهم ويباركهم فيكثر ثمرة بطنك وثمرة أرضك قمحك وزيتك ونتاج بقرتك وإناث غنمك. لا يكون عقيم ولا عاقر فيك ولا فى بهائمك ويرد الرب عنك كل مرض.

٧ – فى الفقرة السابعة يحض موسى عليه السلام شعبه على شكر الله دائما وتذكر نعمه عليه فيقول:-

(تذكر كيف سار بك الرب هذه الأربعين سنة فى القفر لكى يجربك ليعرف ما فى قلبك أتحفظ وصاياه أم لا. فأذلك وأجاعك وأطعمك المن لكن يعلمك بأنه ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان. بكل ما يخرج من فم الرب يحيا الإنسان.

متى شبعتم فى الأرض التى تملكونها تبارك الرب لأجل الأرض الجيدة التى أعطاك. إحترز من أن تنسى الرب إلهك ولا تحفظوا وصاياه وأحكامه وفرائضه. فإذا

شبعت وبنيت بيوتا وكثرت بقرك وغنمك وكثرت لك الفضة والذهب يرتفع قلبك وتنسى الرب. ولئلا تقول فى قلبك قوتى وقدرة يدى إصطنعت لى هذه الثروة. بل أذكر الرب أنه هو يعطيك قوة لإصطناع الثروة).

٨ – فى الفقرة الثامنة يذكر موسى الشعب بأن الله يهزم أمامهم الشعوب بخطايا تلك الشعوب لا بقوة شعب إسرائيل فيقول:

(لأجل إثم هذه الشعوب يطردهم الرب من أمامك ليس لأجل برك وعدالة قلبك تدخل لتمتلك أرضهم، بل لأجل إثم أولئك الشعوب يطردهم الرب من أمامك).

٩ – فى هذه الفقرة يهدد موسى الشعب بانتقام الله إذا ما حاولوا عبادة آلهة أخرى فيقول:-

(الرجل الذى يذهب لعبادة آلهة أمم أخرى وأصنامهم تحل عليه كل اللعنات ويمحو الرب إسمه من تحت السماء، وتناله الضربات والأمراض. وأرضه تصبح كبريت وملح لا تزرع ولا تنبت ولا يطلع فيها عشب. وأذكر كيف اشتعل غضب الرب على أمم واستأصلهم الرب من أرضهم مثل سدوم وعمورة وأدمة وحبوئيم (مدن قوم لوط) لأنهم ذهبوا وعبدوا آلهة أخرى وسجدوا لها).

١٠ – فى الفقرة العاشرة من الخطبة يذكر موسى الشعب بأن العبد العاصى إذا رجع الى الرب فإنه يغفر له ذنوبه فيقول:-

(ومتى أتت عليك كل هذه الأمور فإن رجعت إلى الرب إلهك وسمعت لصوته حسب كل ما أوصيك به أنت وبنوك بكل قلبك وبكل نفسك، يرد الله إلهك سبيك ويرحمك ويعود فيجمعك من جميع الشعوب الذين بددك الرب الهك بينهم. إن يكن بددك إلى أقصى السموات فمن هناك غيره يجمعك ويأتى بك إلى الأرض التى إمتلكها آباؤك فتمتلكها ويحسن إليك ويكترث ويجعل الرب إلهك كل هذه اللعنات على أعدائك وعلى مبغضيك الذين طردوك).

وقد حدث هذا بالفعل بعد نفى بنى إسرائيل إلى بابل وظهور أنبياء لهم هناك فى المنفى قادوهم ثانيا إلى طاعة الله فأرجعهم الله إلى فلسطين.

والملاحظ فى هذه الوصايا التى أوصى بها موسى شعبه تأكيده على مبدأ التوحيد ونبذ عبادة الأصنام والشرك بالله، والتوكل على الله والإعتراف بفضله وكرمه وطاعته والإخلاص فى عبادته وإطاعة أوامره وترك نواهيه، كما يهون موسى فيها من شأن الأمم الكافرة مهما بلغت قوتها وثرواتها وزادت أعداد شعوبها، فإن ذلك لن ينفعهم ماداموا غارقين فى الشرك والآثام، وأن المؤمنين من بنى إسرائيل يستطيعون أن يغلبوا هذه الأمم الفتية الكبيرة إذا ما أخلصوا العبادة لله وأطاعوه، فمن أجل آثام وذنوب هذه الأمم يستطيع المؤمنون أن يغلبوهم بإذن الله مهما كانوا أقل منهم عددا وعدة.

تعليق علي خطبة موسي عليه السلام:-

تشع خطبة موسى الثانية هذه بأنوار التوحيد والعبودية الخالصة لله تعالى ونبذ جميع صور الشرك بالله ونبذ عبادة الأصنام والبعد المطلق عن الوثنية والتوكل على الله خير التوكل، وشكره الدائم على نعمه وذكره الدائم فى السر والعلانية والخوف من عقابه، كذلك يقرر موسى فى خطبته هذه بأن الرخاء والبسطة فى الأموال والأولاد والمعاناة من الأمراض ترتبط بطاعة الله وشكره وأداء الفروض ونبذ المعاصى، كذلك فإن البعد عن المنهج البربانى يؤدى حتما إلى هزيمة الشعب ومذلته وتفرقه بين الشعوب، فإذا عاد الشعب إلى الطريق المستقيم وطاعة الله والإلتزام بمنهجه جمعهم الله ثانيا من جميع أنحاء الأرض بعد تفرقهم فيها وأرجعهم ثانيا إلى الأرض المقدسة.

ومما ذكره موسى عليه السلام أن المؤمنين ينتصرون على الشعوب الكافرة ليس بقوة عددهم ولا عدتهم وإنما بطاعتهم لله وعصيان وآثام الشعوب الكافُرة وخذلان الله تعالى لهم مهما بلغت قوتهم.

وهذا المنهج الذى ذكره وأكده موسى فى خطبته ورسمه لشعبه هو نفس الناموس الربانى الذى دعا اليه سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام فى رسالته الجامعة الشاملة الصالحة لكل زمان ومكان والتى كان الإسلام بها هو الدين الخاتم وفى ذلك يقول الله تعالى فى«سورة آل

عمران- ٦٤،: ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللَّهَ وَلا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾.

وإذا تأملنا وصايا موسى عليه السلام ورجعنا إلى القرآن الكريم لإستطعنا تفسير الحقيقة المؤلمة وهى أن تجميع الله لبنى إسرائيل فى فلسطين وإغتصابهم لها فى هذا العصر ليس بسبب رجوعهم إلى طاعة الله سبحانه وتعالى والتزامهم بالمنهج الربانى وتنفيذهم لوصايا التوراة، فهم أبعد الشعوب عن ذلك ومازالوا من أكثر أهل الأرض فجورا وآثاما.

ولكن تم لهم ذلك بسبب غفلة المسلمين والعرب وابتعادهم عن المنهج الذى أنزله الله على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وكثرة مشاحناتهم مع بعضهم وتفرقهم وعدم إجتماعهم على رأى وشدة بأسهم فيما بينهم مع تخاذلهم الشديد وتفرقهم أمام الأعداء وحيانتهم لقضايا شعوبهم، وتبديد الثروات العظيمة التى حبا بها الله بلادهم على ملذاتهم ومعاصيهم وسفاهاتهم التى عرفوا بها فى جميع أنحاء الأرض. فهل ينتظر مع ذلك أن ينصرهم الله أو تقوم لهم قائمة؟ ﴿ لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَالٍ ﴾ *الرعد ١١*، صدق الله العظيم.